حمدون طريح الأرض، نحيل، ما يقوم منه يماثل طوله، وتد منتصب، نافر، إلى درجة تجاوزه الجلباب وطرحه إلى الوراء، بدا استثنائيًا، فريدًا، غريبًا، داعيًا، متشوقًا، المرأة ابتلت وبلعت ريقها، تلفتت حولها، فوقها وتحتها، شلحت جلبابها، وأمسكت هذه البركة، أولجت ما يمكنها احتماله، قضت حاجتها، وتلقت منه، رأت تقلصه، وبربشة عينيه فى ضوء القمر، كأنه يحتلم، ما توقف قط شخيره، عندما بلغ ارتواؤها الكمالَ وتسربت إلى خلاياها سخونة مائه، ظل منتصبًا، متصلبًا، ممتدًا، وعندما أدركها الإنهاك أكملت طريقها، فى اليوم التالى عرفت طريقها إليه، الحال كما وجدته أمس، لكنها بعد مرات لا يمكن عدها، يبدو أن نوبة كرم انتابتها تجاه صديقاتها اللواتى يهمسن بصعوبات يواجهنها مع أزواجهن، أو يعانين عقمًا فشلت فى علاجه زيارات الأولياء والخطو سبع مرات فوق جثث الموتى، أو التعرض لخضات مفاجئة، يبالغ البعض فيقول إنها تقاضت هبات وأجورًا بدلت أحوالها، وصار لقبها المعروف «أم العامود» حتى أن المقربات منها نسين اسمها الأصلى، لم يخذلها قط، حتى عندما بلغ المتعاقبات عليه فى ليلة واحدة سبعة، منهن شابة لم تتجاوز السابعة عشرة، وعجوز انقطع طمثها منذ عشرين سنة، كل هذا وهو لا يبدى علامة على استيقاظه أو إدراكه لما يفعلن به، كأن عضوه نابت من الأرض، يتأثر ويؤثر بمعزل عنه، يؤكد عم شرف أن صلات قامت بينه وبين بعض العاملات فى المؤسسة، لكنه لم يذكر أسماء بعينها.

ومنهم عزيز الديرمواسى، ظهر قبل الثالث والعشرين من يوليو بأربعة أيام، عندما قامت الثورة كان بعض العاملين اعتادوا رؤيته، الظهور المفاجئ لأحد الأغراب العابرين لم يكن مثيرًا للفضول وقتئذ، لم يكن